جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

سنة أولى ماستر تاريخ الوطن العربي المعاصر

مقياس الاستشراق وتاريخ الوطن العربي المعاصر

محاضرة مناهج المستشرقين

1- **المنهج التاريخي.**

2- **منهج التشكيك والإفتراض واعتماد الضعيف الشاذ.**

3- **المنهج الإسقاطي.**

4- **إثبات الفكرة مسبقا ثم البحث عن الأدلة.**

5- **منهج التأثر والتأثير.**

6- **المنهج المادي.**

7- **منهج الجدل والتعصب.**

8- **المنهج العلماني.**

مراجع المحاضرة:

1- الثبيتي، أمال عبيد عواض. (1424 ه/ 2003 م). السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين دراسة تاريخية نقدية لأراء (توماس كارلايل، توماس، أرنولد، ألفريد جيوم)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستار في التاريخ الاسلامي. جامعة أم القرى.

2- النعيم، عبد الله محمد الامين. (1997). الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لاراء-وات بروكلمان- فلهاوزن). (ط1). د.م: المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

3- زقزوق، محمود حمدي. (1997). الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. القاهرة: دار المعارف.

تمرد مفكرو أوروبا على الكنيسة وإبتكروا مناهج لدراسة العلوم، طبق المستشرقون المناهج المادية والعلمانية وغيرها في دراسة الاسلام دون وضع إعتبار لإختلاف ظروف الزمان والمكان وإختلاف العوامل البيئية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية وغيرها بين العالمين الاسلامي والغربي مما أدى في النهاية إلى أن تكون نتائج الدراسات الاستشراقية ضعيفة وبعيدة عن الحقيقة في غالب الأحيان.

-1 المنهج التاريخي :

إستخدم المستشرقون في أبحاثهم حول لعالم الإسلامي المنهج التاريخي وهذا ما نستخلصه من قول رودي بارت الاتي:"... نحن معشر المستشرقين عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الاسلامية لا نقوم بها قط لكي نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الاسلام ومظاهره المختلفة والذي عبر عنه الادب العربي كتابة، نحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيئ ترويه المصادر على عواهنه دون أن نُعمل فيه النظر، بل نقيم وزنا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو يبدو كأنه يثبت أمامه، ونحن في هذا نطبق على الاسلام وتاريخه وعلى المؤلفات العربية

التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن".

ذكر المستشرق وات في مقدمة كتابه محمد في مكة أنه حاول أن يكون حياديا بشأن المسائل اللاهوتية المتنازع عليها بين الاسلام والمسيحية فمثلا لتجنب تحديد ما إذا كان القرآن هو كلام الله أم لا إمتنع عن إستخدام تعبيرات مثل يقول الله ويقول محمد عند الاشارة إلى القرآن وقال: "يقول القرآن " ومع ذلك فهو لا يعتبر تبني منظور مادي ضمنيا في الحياد التاريخي.

-2منهج التشكيك والإفتراض واعتماد الضعيف الشاذ:

القرآن الكريم هو كتاب الله تقوم على أساسه عقائد الدين الاسلامي وتنبثق عنه شريعة المسلمين وأدابهم، ولأنه أوحى به الله الذي لا يأتيه الباطل فإن الايمان به أمرا لا مفرّ منه.

اتجهت جهود أعداء الاسلام إلى محاولة زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن وذلك من خلال التشكيك في مصدره، وقد حذا المستشرقون المتحاملون على الاسلام في موقفهم حذو مشركي مكة، وأرهقوا أنفسهم في إيجاد بيان أن القرآن ليس وحيا من عند الله وإنما هو تأليف سيدنا محمد ﷺ، ويقول جورج سيل (G Sale) في مقدمة كتابه الصادر عام 1736 م: " إن محمد كان في حقيقة الامر مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له أمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة، وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك ... "، وهذه المقدمة جعلها المستشرق كاسميركي مقدمة لترجمته الفرنسية لمعاني القرآن.

راجت هذه المقدمة فترة من الزمن لإشتمالها على تعريف شامل للدين الاسلامي، ونتيجة لذلك أصبح تأليف الرسول للقرآن لدى المستشرقين من المسلمات، أما المستشرق رينان فقد إعتبر أن الرسالة المحمدية إمتداد الحركة الدينية التي كانت سائدة زمن ظهور الاسلام، وأن هذه الرسالة تفتقر إلى أي جديد .

أما المستشرق ريتشارد بل (Ritchard Bell) مؤلف كتاب مقدمة القرآن فيذكر أن الرسول ﷺ إعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس وأنه إستمد من المصادر اليهودية ليفسر تعاليمه وأن مكوثه بالمدينة مكّنه من الاحتكاك باليهود الذين أطلعوه على أخبار موسى.

من أمثلة تشكيكهم في القرآن الكريم وهو مصدر أساسي للسيرة النبوية نفي أن يكون القرآن كتاب الله الذي أنزله على الرسول ﷺ حيث قال جيوم:" ما هو إلا جمرات ذاكيات قذفت بها نفس رجل كبير النفس بعد أن وقدتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات، وكانت الخواطر تتراكم عليه ... وتتزاحم في صدره حتى لا تكاد تجد مخرجا."

وفي التشكيك في نزول الوحي على الرسول ﷺ أضاف: " قد أتخيل روح محمد الحادة النارية وهي تتململ طول الليل الساهر يطفو بها الوجد ويرسب وتدور بها دوامات الفكر ... وكل عزم مقدس يهم به يخاله جبريل ووحيه."

دخول الباحث بمسلمات ثابتة ومحاولة إخضاع بحثه لتأكيدها أمر يزلزل المنهجية العلمية، وهذا ما فعله المستشرقون حيال السيرة النبوية بحكم معتقداتهم الدينية المخالفة للاسلام والتي لم يتمكنوا من التخلص منها وعليه أثرت توجهاتهم البحثية المنهجية على توجيه البحث لإختيار فرضيات متوقعة تثبت أو تنفى حسب ما تمليه الحقيقة العلمية.

يحتم المنهج العلمي ضرورة التأكد من صحة النصوص والاسانيد التي تستنبط منها النظريات، أصرّ المستشرقون على التشويه والتجريح من خلال إلتماس الاسانيد الواهية، يظهر هذا في عدة مواقف مثلا عند ذكر جيوم لقصة الغرانيق التي يجزم بصحتها إذ يقول:" والواقع أن هذه الحادثة تعتبر أقوى دليل محكم على أمانة محمد"، وإتهم رجال الحديث بالإساءة إلى نقاد الحديث عندما وجهوا النقد إلى رواة هذه القصة .

-3المنهج الإسقاطي:

عمل المستشرقون على إسقاط الرؤية الغربية المعاصرة حول تدرج الاديان فقالوا بتدرج الدين الاسلامي، كما أنهم وصفوا القرآن بالتحيز وأنه كان يتحايل على أهل قريش وحصر المستشرقون شخصية الرسول في الاطار الديني أي أنه كان ينذر فقط وكان عليه أن يتنبه إلى الجوانب السياسية في قراراته، وأنه يعمل وفق الضرورات المرحلية، ومن البديهي أن نذكر أن المرحلة المكية مرحلة تثبيت الدعوة، أما مرحلة المدينة فهي مرحلة التشريع وهو عكس تصور المستشرقين حول تدرج الدين الاسلامي .

-4 إثبات الفكرة مسبقا ثم البحث عن الأدلة:

كان المستشرقون يبيتون فكرة معينة مسبقا ثم يبحثون في وقائع التاريخ كي يستلوا منها دليلهم للبرهنة على الفكرة وفي هذا يذكر الباحث جواد علي حول منهج المستشرق كيتاني فيقول: " كان كيتاني إذا رأى فكرة، وضع رأيه وكونه في السيرة قبل الشروع في تدوينها، فإذا شرع بها إستعان بكل خبر من الأخبار ظفر به ضعيفه وقويه وتَمسك بها كلها ولاسيما ما يلائم رأيه، ولم يبال بالخبر الضعيف بل قواه وسنّده وعدّه حجة وبنى حكمه عليه " .

-5 منهج التأثر والتأثير :

سعى الكثير من المستشرقين إلى رد معطيات السيرة النبوية إلى أصول الديانة النصرانية وكذا الديانة اليهودية، فيذكر المستشرق وات بأن الرسول ﷺ تأثر بأفكار ورقة بن نوفل المسيحي، وأنه بعد هجرته إلى المدينة نقل عن اليهودية والمسيحية لصياغة ديانة جديدة هي الاسلام، وأعطى أمثلة عن فرض صلاة الظهر مجاراة للعادات اليهودية وصلاة الجمعة وصيام عاشوراء وتحليل طعام أهل الكتاب.

إن هذا المنهج يُفرغ الاسلام من إبداعه وذاتيته بحيث يحيلها إلى مصادر خارجية، وهو ليس مقصور على المستشرق وات وحده بل إتبعه أكبر المستشرقين مثل بروكلمان وفلهاوزن، تأسس هذ المنهج على ضوء مفاهيم خاطئة تبناها المستشرقون في دراسة الاديان ومقارنتها حيث تمت دراسة كل ديانة على حدى، ثم تمت المقارنة بينها من خلال الاجابة عن تساؤلات تشكلت وفق رؤية مسبقة من

أخذ؟ و ممن؟ وأين هي أدلة التأثير؟ فحالات التشابه عوض أن تؤكد وحدة المصدر والغاية تحولت في المنهجية الاستشراقية إلى أدلة سطو فكري يستخدمها المستشرقون لإقناع اليهود والنصارى بالثبات على عقيدتهم وبإقناع المسلم بالعودة للاصل الذي أخذ عنه الاسلام أفكاره، وبالتالي فهذ المنهج لا يخلو من أهداف تنصيرية وتهويدية.

بالنسبة للفكر والفلسفة الاسلامية أصرّ المستشرقون على أن العرق العربي ليس من صفاته التفكير والتأمل والإبتكار ويبرز في هذا الحكم المستشرق الالماني ماركس هورتن، والفرنسي رينان، بالغا هذان المستشرقان في وصف المسلمين بالقصور في التفكير، بل وصل بهما الامر إلى نفي كل إنتاج علمي أنجزه مفكرو المسلمين، بالمقابل نجد بعض المستشرقين الذين كانوا أقل حدة في هذا التعصب مثل المجري جولد زيهر، الهولندي دي بور، والفرنسي كارادي فو .

تشكل النزعة التأثيرية خطورة على وحدة الفكر الاسلامي لان أحكامها تكون حاضرة في الدراسات الاستشراقية كلما وُجد تشابه بين الافكار الاسلامية وغيرها وهذا ما يجّرْ المستشرقين إلى التلفيق والكذب حولها.

طبق المستشرقون أحكام هذه النزعة دون إدراك لخصوصيات الفكر الاسلامي ذو المعايير الدينية التي مرجعها القرآن والسنة ومثال على ذلك ذكر المستشرق ديلاسي أوليري في أحد مؤلفاته أن الثقافة الاسلامية في جوهرها جزء من الفكر الهليني الروماني وتطور علم التوحيد الاسلامي نتيجة مصادر هلينية، وفي نقطة أخرى يناقض نفسه ويذكر أن الاسلام ظل مدة طويلة منعزلا عن المسيحية وتطور في بيئات مختلفة عنها حتى ظهر كأنه أجنبيا عنها.

-6 المنهج المادي :

تأثر بعض المستشرقين بالنزعة المادية خاصة في الدول الشيوعية عند قيام الثورة البلشفية فحاولوا تفسير الاسلام تاريخا وعقيدة وشريعة وفق المنهج الماركسي ،وذهب هؤلاء إلى القول أن المجتمع الاسلامي عرف ما يسمى بطبقة الرقيق وذكرت المستشرقة بيجولفسكايا أن القرآن يشعر بتركيز ملكية الرقيق وأبعد

من ذلك فهي تذكر أيضا مع المستشرق بلاييف أن المرحلة الاقطاعية هي من آثار إتصال العرب بالشعوب الاخرى.

-7 منهج الجدل والتعصب :

قام منهج الكثير من المستشرقين على الجدل والتعصب والحقد حتى أن بعض المستشرقين أنتقدوا أنفسهم في هذه النقطة، ومن هؤلاء نذكر نورمان دانيال وريتشارد سودرن، وهذا الجدل والتعصب بدأ مع المستشرقين الاوائل وإستمر إلى الفترة المعاصرة ونذكر منهم مارجليوث ولامانس وبرنارد لويس، بل أبعد من ذلك هناك من تظاهروا بالموضوعية في حين أنهم كانوا يعيدين كل البعد لأن من شروط الموضوعية إحترام مسلمات الدين الاسلامي وثوابته وإستبعاد منهج الاسقاط في دراسته .

اعترف بعض المستشرقين أن هناك مستشرقين لم يتحلوا بالنزاهة في أبحاثهم فهذا المستشرق مونتغمري وات يقول: " إذا كانت بعض إستنتاجات العلماء الغربيين غير مقبولة للمسلمين فقد يكون ذلك لان العلماء لم يكونوا دائما أمناء على مبادئهم الخاصة في البحث .

كما أضاف بعضهم أن الفهم لديهم يختلف عنه عند العلماء المسلمين وهذا نستخلصه من قول المستشرق الالماني ديلكو يسموراني " :(Duclos Morani) الفهم الاستشراقي للقرآن يختلف كل الاختلاف عنه عند المسلمين عامة والباحثين المسلمين خاصة، وذلك ما أثار توترا بل حقدا إن صح التعبير بين الطرفين ...إن المستشرق الذي يدرس نص القرآن وعلومه لا ينطلق من الحقيقة المطلقة لدى المسلمين، إن هذا النص وحي منزل أي لا يدرسه من زاوية الايمان، بل من زاوية العلم المنفصل عن جميع ما يدخل في باب الايمان والعقيدة، والاستشراق يعالج النص القرآني وفقا لمعايير علوم الديانات العامة ووفقا لعلوم التاريخ فمن هنا يمكن القول أن نص القرآن في رأي المستشرقين ليس إلا وثيقة تاريخية ثمينة بإعتباره مبدأ أساسي في إيمان المسلمين وعقيدتهم وهذا ماينبغي على الباحثين المسلمين مراعاته عند القراءة في دراسات المستشرقين أو مناقشتهم، حتى لا يحصل الخلل

في الفهم والنتائج، والمدارس الاستشراقية تختلف بإختلاف الدول فالإستشراق الانجليزي يختلف عن الاستشراق الامريكي فلكل منهم طبيعة خاصة."

نفس الرؤية نجدها عند المستشرق موراني والذي ذكر أن أزمة الاستشراق هي أزمة مناهج وليست أزمة تطبيق فالمستشرقون بعد عصر النهضة بدؤوا يخضعون مصادر الاسلام إلى مفاهيم غربية مما جعل حقائق الاسلام تظهر في غير معانيها، وأبعد من ذلك تصبح مشوهة مبتورة، وعليه لا بد من غربلة تلك المناهج.

-8المنهج العلماني:

يتمثل هذا المنهج في إلتزام الكاتب في حكمه على ما يمكن أن يقع وما لا يمكن وقوعه بفلسفة علمانية تستبعد إمكان وقوع الظواهر الدينية التي لا تخضع لقوانين الاجسام المادية المعروفة، إستخدم المستشرقون هذا المنهج لما تعرضوا لوقائع سيرة الرسول ﷺ كالوحي، وحادثة شق الصدر ورؤيته لجبريل عليه السلام فمثلا المستشرق البريطاني وات في حديثه عن حادثة شق الصدر وقصة بحيرا يقول: " أن هناك العديد من القصص ذات الطابع الديني يكاد يكون من المتيقن بأنها ليست حقيقة من وجهة نظر المؤرخ العلماني ."

كما أنه عند تطرقه لنبوءة الرسول ﷺ وعن الوحي أرجعها إلى التخيل الخلاق، أي أنها ليست إصطفاء من الله عز وجل، وإنما هي مجرد إبداع من عقل الرسول الكريم، وإستبعد نزول الوحي على أساس أنه منطقيا لا يمكن أن يقع.